# مفهوم التفسير الموضوعي ومنهجه عند محمد باقر الصدر: دراسة تحليلية

## The Concept of Thematic Interpretation and Its Approach According to Muḥammad Bāqir al-Ṣadr: An Analytical Study

## Konsep dan Pendekatan Muhammad Baqir al-Sadr terhadap Tafsir Tematik: Suatu Kajian Analisa

طارق مكرم الله *، ونظرة بنت أحمد**

**الملخّص**

يُعد السيد محمد باقر الصدر من أبرز العلماء الذين أسهموا في الجدل العلمي حول التفسير الموضوعي. وهذه الورقة محاولة لدراسة وتحليل مفهوم ومنهجية الصدر في شأن التفسير الموضوعي على المستوي النظري التأصيلي. وتستند الدراسة إلى المناهج الآتية: المنهج الاستقرائي برصد وجمع الآراء والمفاهيم التي عبر عنها الصدر بشأن التفسير الموضوعي في مصادره الأصلية من خلال كتابه "التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية"، والمنهج التحليلي باستنطاق نصوص وآراء الصدر بشأن التفسير الموضوعي، ثم تحليلها وترتيبها في نسق يمكننا من الإجابة على بعض القضايا المعرفية والإشكاليات المنهجية المتعلقة بالتفسير الموضوعي؛ كأوجه النقد لمناهج التفسير الموروثة وتحديد مفهوم التفسير الموضوعي، وبيان أهمية التفسير الموضوعي

* باحث في مرحلة الدكتوراه؛ قسم القرآن والسنة، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: tariqtaha236@gmail.com

** أستاذ مشارك في قسم القرآن والسنة، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: anadzrah@iium.edu.my

**الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية**

**مجلة الإسلام في آسيا**
**المجلد ١٩، العدد١، ٢٠٢٢**
E-ISSN: 2289-8077
**DOI: https://doi.org/10.31436/jia.v19i1.1089**

ومرجحات المنهج الموضوعي، وبيان القواعد والأدوات المنهجية والخطوات الإجرائية للتطبيق العملي.

**الكلمات المفتاحية:** المنهج، التفسير الموضوعي، محمد باقر الصدر.

**Abstract**

Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr is regarded as one of the most prominent scholars who contributed to the scholarly debate regarding thematic interpretation. This paper is an attempt to study and analyze al-Sadr's concept and methodology regarding thematic interpretation at the theoretical and foundational level. The study is based on the following approaches: the inductive approach by collecting and taking a close look at the opinions and concepts expressed by al-Sadr regarding the thematic interpretation in his book "Thematic Interpretation and Social Philosophy in the Qur'anic School", and the analytical approach by examining the texts and opinions of al-Sadr regarding thematic interpretation, and then analyzing and arranging them in a way that enables us to answer certain epistemological issues and methodological problems related to thematic interpretation such as the aspect of criticism on the traditional methods of interpretation, defining the concept of thematic interpretation, and elucidating the importance and merits of thematic interpretation and explicating the principals, methodological tools, and procedural steps for a practical application.

**Keywords:** Methodology, Thematic Interpretation, Muhammad Baqir al-Sadr.

**Abstrak**

Muhammad Baqir al-Sadr merupakan salah seorang ulama terkemuka yang menyumbang kepada perbahasan ilmiah tentang tafsir tematik (maudhu'i) al-Quran. Kertas kerja ini mengkaji dan menganalisa konsep dan metodologi al-Sadr terhadap tafsir tematik pada peringkat teori. Kajian ini berdasarkan pendekatan induktif dengan mengumpul pendapat dan konsep yang diutarakan oleh al-Sadr berkaitan tafsir tematik melalui buku beliau berjudul *Tafsir Tematik dan Falsafah Sosialisme dari Kalangan Madrasah al-Quran*. Perbahasan juga melihat kepada pendekatan analitikal al-Sadr terhadap tafsir tematik. Kajian ini menjawab beberapa isu epistemologi dan metodologi mengenai tafsir tematik antaranya; kritikan terhadap kaedah tafsir yang diwarisi, takrif konsep tafsir tematik, perbahasan tentang kepentingan dan nilai tafsir tematik, perbahasan tentang metodologi, dan langkah-langkah aplikasi praktikal bagi tafsir tematik.

**Kata Kunci:** Kaedah, Tafsir Tematik, *Muhammad Baqir al-Sadr*.

**المقدمة**

القرآنَ الكريمَ كتابُ اللهِ الخالدُ، أنزله هدايةً للعالمين، فهو خطابُ الله إلى الإنسانية جميعًا، يستحثُّ العقول لتنهض لسَبرِ معانيه، والوقوف على مراد الله فيه . ولا بِدْعَ أن يشتغل المسلمون بالقرآن تلاوةً وحفظًا ودرسًا، وقد تعددت لديهم سبلُ التعامل مع القرآن، وتنوعت عندهم مناهجُ فهمه استنباطًا وتنزيلًا، وما زعم أحدٌ منهم أنه استنفد معانيَه، وبلغ الغاية في استنباط أحكامه، ذلك أنه: ﴿**لوكَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف:١٠٩].

وفي هذا السياق من مكانة القرآن في حياة المسلمين ووجودهم، اهتم العلماء بالبحث في قضايا المنهج- أو المناهج -الأنفع في فهم الخطاب القرآني، واستجلاء رسالته ودرك معانيه، فظهر مصطلح التَّفسير الموضوعي، بوصفه يمثل نمطًا علميًّا ومنهجيًّا جديدًا في الاستجابة للتطورات الحديثة، التي استجدت في حياة المسلمين، باعتباره منهجًا يساعدُ المفسِّر على استجلاء نظريات القرآن وقواعده في شتى شئون الفكر والحياة.

ومن أبرز مَن تناول فكرة التَّفسير الموضوعي ومنهجه السَّيِّد محمد باقر الصَّدر، فهو يعد من أوائل من وَعَوْا قضية المنهج وانتبهوا لأهميتها، وإلى عدم كفاية المناهج الموروثة وعدم قدرتها على معالجة المشاكل، ومجابهة التحديات المعاصرة .فقد بذل الصدر جهدًا كبيرًا في صياغة وإبراز المنهج الذي عمل من خلاله على إنجاز النظريات والكشف عنها من النصوص الإسلامية، وسوف نعرض للحديث عن رؤية الصدر لمفهوم التفسير الموضوعي والمنهج الذي عمل إنجازه من خلال هذه الدراسة ونستهلها بالتعريف به.

هو السيد محمد باقر بن السيد حيدر بن السيد إسماعيل الصدر، ويتصل نسبه بالإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ومنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. ولد الصدر في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، في مدينة الكاظمية من ضواحي العاصمة العراقية بغداد[2]، وقد عرف الصدر منذ دراسته الأولى بالنبوغ المبكر، فتلقى قدرًا من الدراسات الحديثة في مدارس منتدى النشر الابتدائية في الكاظمية[3]، ثم هاجر في سنة ١٣٦٥هـ من الكاظمية إلى النجف، وتتلمذ على يدي علمين من أعلام النجف:

١. آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت.١٣٧٠هـ/١٩٥١م).

٢. آية الله السيد أبو القاسم الخوئيّ (ت. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) الذي درس على يده الفقه والأصول.

وأنهى تحصيلاته الأصولية سنة ١٣٧٨هـ، والفقهية سنة ١٣٧٩هـ، وقد كانت مدة تحصيله العلمي من البداية إلى النهاية نحو سبع عشرة سنة، أو ثمانية عشرة سنة، وقد كان خلال تلك المدة حريصًا على استثمار وقته، والانشغال بتحصيل العلم؛ فكان يستثمر من كل يوم ست عشرة ساعة في التحصيل والمطالعة والتفكير[4].

ثم أجيز بالاجتهاد وهو في سن الثامنة عشرة، واشتغل بعدها بالدرس والبحث، وبعد وفاة المرجع الشيعي محسن الحكيم (ت. ١٣٧٠هـ/١٩٧٠م) برزت

---

[1] انظر: محمد رضا النعماني، **شهيد الأمة وشاهدها**، ت: لجنة المؤتمر العالمي للإمام الصدر، (إيران: مركز الأبحاث والدراسات التخصيصية للإمام الصدر، ط١، ١٤٢١ه)، ج١، ص٤٧-٤٨.

[2] انظر: محمد الحسيني، **محمد باقر الصدر: حياة حافلة فكر خلاق**، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، د .ط، ١٤٢٧ه/٢٠٠٥م)، ص٣٣-٣٤.

[3] محمد رضا النعماني، **الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار**، (مطبعة إسماعيليان، ط٢، ١٤١٠ه/١٩٩٧م)، ص٤٣.

[4] كاظم الحسيني الحائري، **مباحث الأصول**، (قم: دار البشير، ط٣، ١٤٣٣ه)، ج١، ق٢، ص٢٣.

أهْليته للمرجعية، وتصدر للتدريس والإفادة، وكثر تلاميذه، وحين قتل كان قد أصبح مهيًا للمرجعية العامة في النجف، ولو امتدت به الحياة لساد في جميع أقطار الشيعة[٥].

ومن أبرز مؤلفاته في علم التفسير: المدرسة القرآنية، وهذا الكتاب ليس بقلمه، ولكنه استنساخ لمحاضراته حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ألقى الصدر هذه المحاضرات عام ١٩٧٩م على بعض من علماء النجف وتلامذتها، وعددها ١٤محاضرة، كان آخرها قبل احتجازه الذي انتهى بوفاته بفترة لا تزيد عن الأسبوعين، تلبية لجملة من الاحتياجات الفكرية والاجتماعية والسياسية، عرض فيها لمنهج التفسير الموضوعي، وسنن التاريخ في القرآن، وعناصر المجتمع في القرآن و لم يُعطَ الصدرُ الفرصة لكتابة هذه المحاضرات بقلمه من أجل تعميق أفكارها وتطويرها؛ فتوفي وهي مسجلة بصوته على أشرطة، ثم نقلت وطبعت بعد ذلك عدة طبعات[٦].

توترت العلاقة بين الصدر والنظام العراقي وبلغت أشُدَّها بسبب موقفه الداعم والمؤيد للثورة الإيرانية في خضم الحرب التي كانت مندلعة بين العراق وإيران، واستقباله وفود معارضة للنظام العراقي في بيته، فضلًا عن فتواه بتحريم الانتماء لحزب البعث العراقي الحاكم .وقد حاول النظام أن يثني الصدر عن مواقفه السابقة، ولكن دون جدوى[٧].

وفي اليوم الخامس من شهر نيسان /أبريل ١٩٨٠م اعتقل الصدر، ونقل من النجف إلى بغداد، وفي اليوم التالي اعتقلت أخته السيدة بنت الهدى «آمنة الصدر»، وفي مساء يوم التاسع من نيسان/أبريل (١٩٨٠م/١٤٠٠هـ)، وفي حدود الساعة

---

[٥] محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ت: حسن الأمين، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، د.ط، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م)، ج٩، ص١٨٤-١٨٥.

[٦] محمد رضا النعماني، **شهيد الأمة وشاهدها**، ج١، ص١٢٤.

[٧] انظر: محمد رضا النعماني، **الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار**، ص٣١٦-٣١٩.

التاسعة أو العاشرة مساءً، قطعت السلطة التيار الكهربائي عن مدينة النجف، وفي ظلام الليل تسللت مجموعة من قوات الأمن إلى دار السيد محمد صادق الصدر «أحد أقربائه»، وطلبوا منه الحضور معهم إلى بناية محافظة النجف، وكان بانتظاره هناك مدير أمن النجف، فقال له: هذه جنازة الصدر وأخته، قد تم إعدامهما، وقد تم دفنه إلى جانب أخته بمقبرة وادي السلام بمدينة النجف[٨].

## أوجه النقد لمناهج التفسير الموروثة

صدر السيد محمد باقر الصدر محاضراته بالحديث عن تنوع التفسير، واختلاف مذاهبه وتعدد مدارسه، والتباين في كثير من الأحيان بين اهتماماته واتجاهاته، ثم عدد مجموعة من المذاهب المختلفة فقال: «فهناك التفسير الذي يهتم بالجانب اللفظي والأدبي والبلاغي من النص القرآني، وهناك الذي يفسر النص القرآني بالمأثور عن الأئمة والتابعين، وهناك من يعتمد العقل كأداة للتفسير وفهم كتاب الله سبحانه.... إلخ، إلا أن الذي يُهِمُّنا هو التركيز على أبرز اتجاهين رئيسين لحركة التفسير في الفكر الإسلامي: الاتجاه التجزيئي في التفسير، والثاني: الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي في التفسير»[٩].

ميز الصدر إذًا بين منهجين من مناهج التفسير، مختلفين في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية؛ هما المنهج التجزيئي والموضوعي.

---

[٨] المصدر السابق، ص٣٢٦-٣٢٧.

[٩] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ت: جلال الدين على الصغير، (بيروت: الدار العالمية، ط١، ١٤٠٩ه/١٩٨٩م)، ص١٥-١٦.

والمراد بالتفسير التجزيئي حسب رؤية الصدر هو المنهج الذي يتناول فيه المفسر القرآنَ الكريمَ ضمن إطاره آية فآية، وَفقًا لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف[١٠].

وقد يسمى هذا النوع من التفسير، بالتفسير الموضعي، أو التفسير الترتيبي.

وعرف بعضهم التفسير الموضعي بأنه: «هو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحدٍ من القرآن الكريم، متتبعًا ترتيب الآيات في سورها. ويندرج تحته التفسير التحليلي، والإجمالي، والمقارن، في مقابلة التفسير الموضوعي»[١١].

وبعضهم أطلق عليه اسم الترتيبي وعرفه: «هو المنهج الذي اعتاده المفسرون منذ بدايات نشوء علم التفسير حتى وقتنا هذا، حيث يفسر القرآن الكريم قطعة قطعه، كما هو مدوَّن في المصحف الشريف، فيبتدأ المفسر بسورة الحمد، وينتهي بسورة الناس»[١٢].

ونلاحظ من خلال التعريفات السابقة، أن هذه التسميات لا تختلف فيما بينها من حيث الدلالة والمضمون.

وقد اعتبر الصدر أن من أبرز العوامل التي أسهمت في شيوع هذ المنهج في التفسير وسيطرته على الساحة قرونًا عديدة، يرجع إلى سيادة النزعة الروائية والحديثية للتفسير، فالتفسير كان شعبة من الحديث، إذ كان الحديث هو الأساس الوحيد له

---

[١٠] المصدر السابق، ص٢٨.

[١١] انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م)، ص٤٠.

[١٢] محمد باقر الحكيم، **المجتمع الإنساني في القرآن الكريم**، (النجف: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ط٢، ٢٠٠٦م)، ص١١.

تقريبا، مضافًا إلى بعض المعلومات اللغوية والأدبية والتاريخية، التي اعتمد عليها التفسير طيلة فترة طويلة من الزمن[١٣].

ويرى الصدر أن التفسير التجزيئي تدرج تدرجًا تاريخيًّا؛ حيث مرّ بمراحل عديدة، حتى وصل إلى مستوى الاستيعاب الشامل للقرآن الكريم .فقد كان في البداية يقتصر على مجرد شرح لبعض الآيات القرآنية وتفسير لمفرداتها، وكلما امتدَّ الزمن ازدادت الحاجة إلى تفسير المزيد من الآيات حتى أنتهى إلى الصورة التي قدم فيها الطبري وابن ماجه وغيرهم تفاسيرهم، وهي تعد أوسع صورة للمنهج التجزيئي[١٤].

ويعلل الصدر هذا النمو والتوسع، بأنه يرجع إلى بعد الناس عن فهم اللغة، وازدياد حاجاتهم إلى تفسير ألفاظها وتراكيبها، وما اعترض النص القرآني بسبب هذا البعد من غموض وتعقيد وشك في تحديد مفهوم اللفظ، فأصبح كثيرًا من الآيات بمرور الزمن معناها ومدلولاها اللفظي بحاجة إلى إبراز أو توضيح أو تأكيد[١٥].

ويرى الصدر أن من العوامل التي أصابت هذا المنهج بالجمود وأوقفته عن تطوير نفسه نشأة هذا التفسير نشأة تبعية في ظلّ سيادة الروايات الحديثية، ومن هنا لم يكن بإمكان تفسير يعتمد على هذه الروايات أن يتقدم خطوة أخرى، وأن يحاول تركيب مدلولات القرآن والمقارنة بينها، واستخراج النظرية من وراء هذه المدلولات اللفظية؛ لأنه بطبعه مجرد تفسيرًا لفظيًّا للمفردات، وشرحًا للمستجدِّ من المصطلحات، وتطبيقًا لبعض المفاهيم على أسباب النزول .ومثل هذا المنهج لم يكن بإمكانه أن يقوم

---

[١٣] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٢١.

[١٤] المصدر نفسه، ص١٦-١٧.

[١٥] نفسه، ص١٧-١٨.

بدور اجتهادي مبدع، يستكشف ما وراء المدلول اللغوي واللفظي من الأفكار، التي حاول القرآن أن يعطيها من خلال المتناثر من آياته الشريفة[١٦].

وثمة من يذكر سببين آخرين لشيوع هذا المنهج:

الأول: هو القدسية التي ينظر بها المفسرون إلى مسألة ترتيب القرآن الكريم، باعتبار أن القرآن الكريم -منذ الصدر الأول للإسلام وحتى يومنا الحاضر -مرتب بهذا الترتيب، الذي يبتدئ بسورة الحمد وينتهي بسورة الناس، فراعى المسلمون هذا الترتيب وساروا عليه في تفسيرهم[١٧].

أما السبب الثاني: فهو انتفاء الحاجة للبحث الموضوعي؛ فالمسلمون في السابق كانوا قد عاشوا هذه النظريات، من خلال التطبيق وقد كانت موجودة بينهم بشكل عام، وعلى هذا الأساس لم يكونوا يشعرون بأهمية البحث الموضوعي، خاصة في القضايا الاجتماعية، بينما الداعي للتفسير الموضوعي في هذا العصر هو الحاجة الاجتماعية للتعامل مع النظريات الأخرى الموجودة في الواقع فقد برزت الحاجة إلى المنهج الموضوعي في التفسير لسدّ هذه الغاية[١٨].

وعلى الرغم من شيوع هذا المنهج في التفسير، فإن أثره في رأي الصدر كان سلبيًّا[١٩].

وتتلخص أوجه النقد عند الصدر للتفسير التجزيئي في الآتي:

---

[١٦] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٢١-٢٢.

[١٧] محمد باقر الحكيم، **المجتمع الإنساني في القرآن الكريم**، (النجف: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط٢، ٢٠٠٦م)، ص١٢.

[١٨] محمد باقر الحكيم، **تفسير سورة الحمد**، (قم: مجمع الفكر الإسلامي، ط١، ١٤٢٠ه)، ص١٠٤.

[١٩] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٣٣.

**من ناحية الهدف؛** فالهدف في كل خطوة من هذا التفسير، هو فهم مدلول الآية التي يواجها المفسر بكل الوسائل الممكنة، أي أن الهدف تجزيئي، لأنه يقف دائما عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النص القرآني، ولا يتجاوز ذلك غالبًا[٢٠].

**من ناحية الحصيلة المعرفية؛** من خلال هذا المنهج في التفسير سوف نحصل على عدد كبير من المعارف والمدلولات القرآنية، ولكن في حالة تناثر وتراكم عددي، دون أن نكتشف أوجه الارتباط، والتركيب العضوي لهذه المجاميع من الأفكار، ودون أن نحدد نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة[٢١].

**من ناحية الأثر ويتمثل فيما يلي:**

أ. على الجانب الفكري: يرى الصدر أن هذا المنهج لعب دورًا في اختفاء قيمومة التصورات القرآنية على الحياة الإنسانية، فساعد انتشار هذا المنهج على إعاقة الفكر الإسلامي القرآني عن النمو والاكتمال، وعمل على اكتسابه حاله تشبه الحالات التكرارية، واستمر هذا إلى قرون من الزمن المتراكمة بعد تفاسير الطبري، والرازي، والطوسي، لم يحقق فيها الفكر الإسلامي مكاسب حقيقية جديدة، على الرغم من ألوان التغيير التي حفلت بها الحياة في مختلف الميادين[٢٢].

ب. من ناحية أثره في الواقع: فقد أدت حالة التناثر ونزعة المنهج التجزيئي برأي الصدر إلى ظهور المتناقضات المذهبية العديدة في الحياة الإسلامية، إذ كان يكفي هذا المفسر أو ذاك آية تبرر مذهبه، لكي يعلن عنه ويجمع حوله

---

[٢٠] المصدر السابق، ص١٨.

[٢١] المصدر نفسه، ص١٨-١٩.

[٢٢] نفسه، ص٢٤.

الأنصار والأشياع، كما وقع في كثير من المسائل الكلامية، كمسألة الجبر والتفويض[٢٣].

ولكن هذا الرأي لم يعتبره محمد باقر الحكيم جانبًا نقديًّا لمنهج التفسير التجزيئي؛ لأن وجود الاختلاف والتناقض على أساس المنهج التجزيئي لا يقتصر عليه وحده، بل يشمل ذلك المنهج الموضوعي أيضًا وهو قائم وموجود فعلًا، إذ إن هناك الكثير من الباحثين والمفسرين الذين اعتمدوا المنهج الموضوعي، ومع ذلك توصلوا إلى نتائج متناقضة ومختلفة.

ويرى الحكيم أن هذه التناقضات ليس منشأُها منهجيةَ التفسير التجزيئي، ولكنها ترجع إما إلى ما يتبنه الإنسان من أفكار وعقائد وميول نفسية ومدركات واتجاهات ومصالح سياسية، يحاول فرضها وتطبيقها على القرآن، وإما إلى أن الذي يتصدى لعملية التفسير لا يبذل الجهد المناسب في عملية التفسير الأمر الذي يعني عدم قدرته على استيعاب المضمون القرآني .ومن الواضح أن هذين السببين ليس مما يختص بهما فقط المنهج التجزيئي دون المنهج الموضوعي، كما أنه لا يوجد دليل على أن المنهج التجزيئي ينتهي إلى آراء مختلفة ومتناقضة[٢٤].

**من ناحية دور المفسر**: فإن دور المفسر في هذا المنهج سلبي، فهو يتعامل مع النص القرآني دون أي افتراضات أو أطروحات مسبقة، ويحاول أن يحدد المدلول القرآني على ضوء ما يسعفه به اللفظ، وما يتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة، ودور النص هنا دور المتحدث، ودور المفسر هو الإصغاء والتفهم، وهذا هو ما نسميه بالدور السلبي؛ حيث يجلس المفسر بين يدي النص القرآني ليستمع فقط بذهن مضيء،

---

[٢٣] المصدر السابق، ص١٩.

[٢٤] محمد باقر الحكيم، **تفسير سورة الحمد**، ص١٠١-١٠٢.

بفكر صاف، وبروح محيطة بآداب اللغة وأساليبها بينما يكون القرآن ذا دور إيجابي، حيث أن القرآن يعطي حينئذٍ، وبقدر ما يفهم هذا المفسر من مدلول اللفظ يسجل في تفسيره[٢٥].

**من الناحية العملية؛** فإن شوط التفسير التجزيئي طويل جدًّا، لأنه يبدأ من الفاتحة وينتهي بسورة الناس، وهذا الشوط بحاجة إلى فترة زمنية طويلة أيضًا، ولهذا لم يحظ من علماء الإسلام الاعلام إلا عدد محدود بهذا الشرف العظيم، شرف مرافقة الكتاب الكريم من بدايته إلى نهايته[٢٦].

وللخروج من هذه الأزمة المنهجية في التفسير، يرى الصدر أنه كان بالإمكان تفادي هذه السلبيات والتناقضات لو أن المفسر خطا خطوة أخرى، و لم يقتصر على مجرد التجميع العددي، وانتقل إلى المنهج الموضوعي[٢٧].

وقد بين الصدر بوضوح أن أهمية التفسير الموضوعي ومسوغات وجوده، تكمن في الغاية التي يرموا لتحقيقها إذ «يستهدف التفسير التوحيدي الموضوعي من القيام بهذه الدراسات، تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتالي للرسالة الإسلامية لموضوع من موضوعات البحث في الحياة، أو الكون، أو الإنسان[٢٨]، وإيجاد صلة تفاعل ورابطة وثيقة بين القرآن وحركة الحياة[٢٩]، لأن في القرآن ما يمكن أن نستشف منه مواقف السماء تجاه تجربة الأرض، لتكوين فهم إسلامي قرآني صحيح»[٣٠].

---

[٢٥] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٢٥-٢٦.

[٢٦] المصدر نفسه، ص٣٩.

[٢٧] نفسه، ص٢٠.

[٢٨] نفسه، ص٢١.

[٢٩] نفسه، ص٢٨.

[٣٠] نفسه، ص٢٩.

وهنا قد يعترض علينا سائل قائلًا: وما هي الضرورة اللازمة لتحصيل هذه النظريات الأساسية؟ وما الضرورة التي تدعونا أن نفهم نظرية الإسلام في النبوة بشكل عام، أو أن نفهم نظرية الإسلام في سنن التاريخ، أو الاقتصاد الإسلامي؟ ما الضرورة لذلك في حين أننا نجد النبي لم يعط هذه القضايا على شكل نظريات محدودة وبصيغ عامة، وإنما اقتصر على إعطاء القرآن بهذا الترتيب للمسلمين وبهذا الشكل المتراكم؟

وقد أجاب الصدر على هذا الاعتراض إجابة واضحة، يؤكد فيها ضرورة تحديد هذه النظريات وتحصيلها، فيقول: «إن هناك اليوم ضرورة أساسية لاستخلاص هذه النظريات وتحديدها، ولا يمكن أن يفترض الاستغناء عن ذلك؛ إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي هذه النظريات، ولكن من خلال التطبيق، ومن خلال المناخ القرآني العام الذي كان يبينه في الحياة الإسلامية، فكان كل مسلم في إطار هذا المناخ، يفهم هذه النظرية ولو فهمًا إجماليًّا ارتكازيًّا، لأن المناخ والإطار الروحي والاجتماعي والفكري والتربوي الذي رسمه النبي كان قادرًا على أن يعطي النظرة السليمة، والقدرة السليمة على تقييم المواقع والمواقف والأحداث»[٣١].

أي: أن الصحابة الذين عاشوا في كنف الرسول؛ إذ لم يتلقوا هذه النظريات بصيغة عامة، فقد تلقوها تلقيًا إجماليًّا، انتقشت في أذهانهم، وسرت في أفكارهم، فلقد كان المناخ العام-الذي رسمه النبي -والإطار الروحي، والاجتماعي، والفكري، الذي يعيشونه مساعدًا على تفهم هذه النظريات، ولو تفهمًا إجماليًّا، وعلى توليد المقياس الصحيح في مقام التقييم .

وبناء على ما سبق؛ فإن الصدر يرى أن الحاجة إلى دراسة نظريات القرآن والإسلام أصبح حاجة حقيقية ملحة، خاصة بعد غياب ذلك المناخ، وذلك الإطار

---

[٣١] المصدر السابق، ص٣٦.

وفقدان النظريات الارتكازية الاجمالية التي كانت حاضرة في أذهان الناس في عصر النزول بسبب عدم التطبيق العملي، وبروز النظريات الحديثة التي أعقبها تفاعل كبير وتدافع بين إنسان العالم الإسلامي وإنسان العالم الغربي، إن هذا التفاعل حينما وقع أدى بالإنسان المسلم إلى أن يجد نفسه أمام نظريات كثيرة في مختلف مجالات الحياة، فكان لابد من تحديد موقف الإسلام من هذه النظريات، ومن أجل ذلك كان لابد من أن يستنطق نصوص الإسلام، ويتوغل في أعماق هذه النصوص لكي يصل إلى مواقف الإسلام التي تعالج نفس هذه المواضيع التي عالجتها التجارب البشرية الذكية في مختلف مجالات الحياة[٣٢].

هذا الموقف الذي اتخذه الصدر قد سبقه إلى هذه الرؤية والطرح، الشيخ محمد عبد الله دراز في دراسته المشهورة عن الأخلاق، ويتجلى هذا لدى الصدر في التركيز على عنصر التجربة البشرية، وحملها على القرآن الكريم للتوحيد بينهما في سياق واحد[٣٣]، وقد نُقل عن الصدر امتداحه لدراز وكتابه، مما يعني أن هذه المحاولة كانت حاضرة في أفقه الفكري قبل تقنينه لقواعد منهجه الموضوعي في التفسير[٣٤]، حيث عمل دراز على استخراج النظرية الأخلاقية من القرآن، الذي جعل منه نقطة الانطلاق للإجابة عن كل مسألة، بالرجوع المباشر إلى النص[٣٥].

---

[٣٢] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٣٨.

[٣٣] أحمد عبد الله أبو زيد، **أطروحة التَّفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر**، (بيروت: مركز الحضارة للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١١م)، ص٥٦.

[٣٤] جواد علي كسار، "المنهج الموضوعي إشارات مقارنة بين دراز والصدر ومكارم شيرازي"، **مجلة قضايا إسلامية**، (إيران: مؤسسة الرسول الأعظم، ١٤١٧ه/١٩٩٦م)، العدد الثالث، ص٧١.

[٣٥] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ت: عبد الصبور شاهين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨ه/١٩٩٨م)، ص١٣.

ونلاحظ مما سبق أن أهمية التفسير الموضوعي لدى الصدر ودراز تكمن في الكشف عن النظريات المختلفة الكامنة في النظم القرآني في مختلف جوانب الفكر والحياة، وأن الطريق الوحيد لذلك هو التفسير الموضوعي.

## مفهوم التفسير الموضوعي عند الصدر

من الإشكالات التي يجب النظر فيها لتحديد المراد بالتفسير الموضوعي هي إشكالية تحديد المفهوم من مصطلح الموضوعية، وبناء عليها نستطيع تعريف التفسير الموضوعي، فما المراد بها من وجهة نظر الصدر؟

نجد من خلال البحث أن هناك ثلاث معانٍ لمصطلح الموضوعية ذكرها الصدر وهي (تتمثل فيما يلي):

**أولًا:** الموضوعية في مقابل الذاتية والتحيز، وهي بهذا المعنى عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث والتمسك بالأساليب العلمية المعتمدة على الحقائق الواقعية، والتخلي عن الأحكام والمقررات المسبقة في إصدار الأحكام والنتائج التي يتوصل إليها. والموضوعية بهذا المعنى من وجهة نظر الصدر هي خصلة منهجية مطلوبة في كلا المنهجين التجزيئي والموضوعي.

**ثانيًا:** الموضوعية بمعنى أن يبدأ في البحث من الموضوع، الذي هو «الواقع الخارجي» ويعود إلى القرآن الكريم لمعرفة موقف القرآن الكريم تجاه ذلك الموضوع[٣٦].

وقد يسمى هذا المنهج أيضًا بالمنهج «التوحيدي» باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم، لا بمعنى أن يخضع القرآن أو يطوع للتجربة البشرية، ولا أن تحمل التجربة البشرية على القرآن الكريم، بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياقٍ

---

[٣٦] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٣١.

بحث واحد، لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية[٣٧].

**ثالثًا:** الموضوعية بمعنى «ما ينسب إلى الموضوع الواحد؛ أي يختار المفسر مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد .ويسمى هذا المنهج بالتوحيدي باعتبار أنه يوحد بين مدلولات الآيات التي تشترك في موضوع ضمن مركب نظري واحد، من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع»[٣٨].

بناء على ما سبق؛ فإن الصدر يرى أن الدراسات التي قام بها بعض المفسرين حول موضوعات تتعلق بالقرآن كأسباب النزول، أو الناسخ والمنسوخ، لا تعتبر من التفسير التوحيدي والموضوعي الذي يريده. ويرجع ذلك إلى أن هذه الدراسات ليست إلا تجميعًا عدديًا لقضايا من التفسير التجزيئي لوحظ فيما بينها شيء من التشابه، فليست كل عملية تجميع أو عزل تعد دراسة موضوعية[٣٩].

فليست كل عملية تجميع للنصوص مع بعض الضبط والترتيب دراسة موضوعية كما يقدر الصدر وإنما الدراسة الموضوعية هي" التي تطرح موضوعًا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده»[٤٠].

---

[٣٧] المصدرالسابق.

[٣٨] المصدر نفسه.

[٣٩] نفسه، ص٢٤.

[٤٠] نفسه.

وقد وافق الصدر في هذا الطرح الدكتور زياد خليل الدغامين، واعتبر أن مثل هذه الأبحاث لا تدخل في نطاق التفسير الموضوعي، إذ ليس من غايتها التعرف على موقف القرآن في الموضوعات التي درستها[٤١].

لقد حدد الصدر المراد بالموضوعية، كما في المعنى الثاني والثالث، ثم قدم بناء عليه للمنهج الموضوعي عنوانًا مزدوجًا يتسم بالحركة والحيوية؛ هو: التفسير الموضوعي – التوحيدي؛ فكل اسم منهما لاحظ جهة معينة تختلف عن الأخرى، كما تم توضيحه.

إذً الصدر لا يكتفى بالمفهوم الشائع حول التفسير الموضوعي؛ بمعنى جمع الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد داخل النص القرآني، ولكنه أضاف إليه بُعْدَ الواقع الخارجي، فهو حركة من الواقع إلى النص، ثم عودة من النص إلى الحكم على الواقع.

فالتفسير الموضوعي عند الصدر: «هو الدراسة التي تطرح موضوعًا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده»[٤٢].

## مرجحات المنهج الموضوعي

ويرى الصدر أن المنهج الموضوعي يتميز بخصائص وسمات ترجحه على المنهج التجزيئي، وهي:

---

[٤١] زياد خليل الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، (عمان: دار عمار، ط١، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م)، ص٣٠.

[٤٢] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٢٤.

**من ناحية الهدف والغاية:** فهو يتميز بتحديد موقف نظري للقرآن الكريم وبالتالي للرسالة الإسلامية لموضوع من موضوعات الحياة أو الكون[٤٣].

**من حيث الحصيلة المعرفية:** فهو الطريق الوحيد للحصول على النظرية القرآنية من وجهة نظره ولهذا يرجح منهج التفسير الموضوعي لأنه لا يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية فقط، بل يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات من أجل الوصول إلى مركب نظري قرآني يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات موقعه المناسب، وهو ما نسميه بلغة اليوم النظرية[٤٤].

**من خلال المقارنة بين الدراسات القرآنية والدراسات الفقهية:** يرى الصدر أن سيادة وانتشار الاتجاه الموضوعي والتوحيدي على الصعيد الفقهي قد ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر الفقهي وإثراء الدراسات العلمية في هذا المجال، بينما ساعد انتشار الاتجاه التجزيئي في التفسير على إعاقة الفكر الإسلامي القرآني عن النمو والتكامل، وساعد على اكتسابه حالة تشبه الحالات التكرارية، حتى إن قرونًا من الزمن مرت لم يحقق فيها الفكر الإسلامي مكاسب حقيقية جديدة وظل التفسير ثابتًا لا يتغير إلا قليلًا على الرغم من ألوان التغير التي حفلت بها الحياة[٤٥].

**من حيث الدور الإيجابي للمفسر:** القائم على الحوار مع القرآن واستنطاقه بدلًا من الاستماع إليه، فهو لا يبدأ من النص، بل من واقع الحياة، فيركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية، أو الاجتماعية، أو الكونية، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ونقاط فراغ، ثم يأخذ

---

[٤٣] المصدرالسابق، ص٢١.

[٤٤] المصدر نفسه، ص٣٠.

[٤٥] نفسه، ص٢٣-٢٤.

النص القرآني، ويبدأ مع النص القرآني حوارا على شكل سؤال وجواب، المفسر يسأل والقرآن يجيب، والهدف من ذلك أن يستكشف المفسر موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح، والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث من أفكار واتجاهات[٤٦].

**من حيث الصلة والتفاعل بين القرآن وحركة الحياة:** حيث أن التفسير الموضوعي يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، وليس منعزلًا عنه، إذ أن المفسر يبدأ من خلاله بالواقع الخارجي، ثم ينتقل إلى القرآن الكريم، ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتاج بحثه، فيلتحم القرآن مع الواقع، ومع الحياة، مما يجعل القرآن الكريم ملبيًا- وبشكل مستمر -لكل متطلبات الحالة الإنسانية والاجتماعية، بوصفه القيم والمصدر الذي يحدد المفسر على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع، ومن هنا تبقى للقرآن قدرته الدائمة على القيمومة، والعطاء المستجد الذي لا ينفد، والمعاني التي لا تنتهي، التي نص عليها القرآن نفسه ونصت عليها الاحاديث[٤٧].

**من ناحية النتائج التي يتوصل لها:** فينتج من الممارسة السابقة إيجاد صلة وتفاعل ورابطة وثيقة بين القرآن وحركة الحياة، لأن عمل المفسر لا يرتبط بتفسير لفظ، ولا يدور في حركة مغلقة من النص إلى النص، بل تأتي النتائج مرتبطة دائمًا بتيار التجربة البشرية لأنها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة[٤٨].

**من الناحية العملية:** هو أن شوط التفسير الموضوعي قصير، ولا يحتاج إلى فترة زمنية طويلة، ومرافقة القرآن الكريم من البداية إلى النهاية، بل غاية الأمر هو

---

[٤٦] المصدر السابق، ص٢٦.

[٤٧] المصدر نفسه، ص٢٨-٢٩.

[٤٨] نفسه، ص٢٧-٢٨.

اختيار موضوعات من القرآن، واستعراض ما يتعلق بذلك الموضوع، وما يمكن أن يلقى عليه القرآن من أضواء، وهو ما طبقه الصدر في هذه الدراسة[٤٩].

بناء على الاعتبارات السابقة فإن الصدر يرى أن المنهج الموضوعي هو أفضل من المنهج التجزيئي، وعن طبيعة العلاقة بين المنهجين، ينبه الصدر إلى أن هذا الحكم لا يقصد منه الاستغناء عن التفسير التجزيئي، حيث يقول: «إن هذه الأفضلية لا تعنى استبدال اتجاه، باتجاه، وطرح التفسير التجزيئي دفعة واحدة والأخذ بالتفسير الموضوعي، وانما إضافة وضم اتجاه إلى اتجاه، لأن التفسير الموضوعي ليس إلا خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي، أي افتراض خطوتين، الأولى هي التفسير التجزيئي، والثانية هي التفسير الموضوعي»[٥٠].

وقد نبه الصدر إلى أهمية التفسير التجزيئي، ومدى حاجة التفسير الموضوعي إليه بقوله: «ينبغي أن يكون واضحًا أن الفصل بين الاتجاهين ليس حديًّا على مستوى الواقع العملي والممارسة التاريخية لعملية التفسير، وذلك لأن الاتجاه الموضوعي بحاجة إلى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يريد التعامل معها ضمن إطار الموضوع الذي يتبناه»[٥١].

وبناء على ذلك؛ فإن الصدر يؤكد على أن التفسير الموضوعي القائم على الخروج بمركب نظري من النصوص التي تدور حول موضوع واحد، متوقف على القيام بتجربة تجزيئية حول كل عضو من أعضاء هذا المركب؛ لأن المركب النظري يتوقف على أجزائه العضوية توقف الكل على أجزائه، ولكن الاتجاهين على أي حال يظلان على الرغم من ذلك مختلفين في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية.

---

[٤٩] المصدرالسابق، ص٣٩.

[٥٠] المصدر نفسه، ص٣٨.

[٥١] نفسه، ص٢١.

**منهج التفسير الموضوعي عند الصدر**

تعد مسألة التجديد في المنهج، والبحث عن مناهج أكثر نجاعة؛ من الأمور المهمة التي تمثل هاجس الكثير من العلماء والمفكرين.

وقد تعالت الأصوات في العصر الحديث تطالب بتدارك الوضع الموجود، على أساس قناعة عميقة بأن المناهج المتوارثة باتت لا تتلاءم مع احتياجات العصر ومشاكله المستجِدَّة، التي تتطلب موقفًا واضحًا للدين منها .

وكان السيد الصدر من أبرز من وَعَوْا قضية المنهج وانتبهوا لأهميتها، وإلى عدم كفاية المناهج الموروثة وعدم قدرتها على معالجة المشاكل، ومجابهة التحديات المعاصرة .ونحاول في هذه النقاط التعرف على القواعد المنهجية والخطوات الإجرائية التي اعتمدها الصدر للمنهج الموضوعي من الناحية النظرية التأصيلية.

حين نرجع إلى مؤلفات الصدر التي انساق في إنجازها وفق المنهج الموضوعي نستطيع استنباط القواعد والمعالم والضوابط التي تساعدنا على تحقيق رسالة المنهج الموضوعي في اكتشاف وصياغة النظريات التي تعبر عن وجهة نظر الإسلام، وهي كالآتي:

**القاعدة الأولى: فقه الواقع**، ويندرج تحتها الخطوات الآتية:

١. اختيار موضوع واقعي: وذلك بإن ينتخب المفسر ويختار موضوع من الموضوعات الموجودة خارج النص القرآني من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية على سبيل المثال عقيدة التوحيد في القرآن أو النبوة في القرآن أو المذهب الاقتصادي في القرآن ونحو ذلك[٥٢].

[٥٢] المصدرالسابق، ص٢٠.

٢. استخلاص حصيلة التجربة البشرية: عن طريق استيعاب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني عن ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، لكي يطرحها على النص القرآني من أجل أن يكتشف موقف القرآن من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها منه[٥٣].

وقد تثار إشكالية هنا؛ بأن في هذا إسنادًا لحاكمية الواقع على القرآن، وقد يؤول الأمر في نهاية المطاف إلى ما يسمى بالهرمنوطيقا المستبطنة لإسقاط ذاتيات الباحث على موضوع البحث، ويصبح من السهل تطويع الدلالات اللفظية لاختيارات إيديولوجية والتزامات اجتماعية وسياسية تفرض على القرآن أنماطًا من التأويل وإعادة التأويل فيتحول إلى محكوم بدل أن يكون حاكمًا[٥٤].

وللإجابة على ذلك نجد أن الصدر قد حذر من خطورة اتخاذ موقف مسبق تجاه النص تفرضه ذاتية الممارس لا موضوعية البحث حيث يقول: «إن هذه الخطورة لا يقتصر تأثيرها على إخفاء بعض معالم التشريع، بل قد يؤدي أحيانًا إلى التضليل في فهم النص التشريعي، والخطأ في استنباط الحكم الشرعي منه، ويحدث هذا حينما يريد الممارس أن يفرض على النص موقفه الذاتي الذي اتخذه بصورة مسبقة، فلا يوفق حينئذ إلى تفسيره بشكل موضوعي صحيح»[٥٥].

ويجيب الصدر عن شبهة تحكيم الواقع على القرآن بقوله: «ونعبر عن التفسير الموضوعي بأنه توحيدي باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم، لا

---

[٥٣] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٢٦.

[٥٤] شكيب بن على بديرة، "التفسير الموضوعي والكلام الحديث"، **مجلة رسالة الثقلين**، (طهران: مطبعة ليلى، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م)، العدد٥٦، ص١٠٤.

[٥٥] محمد باقر الصدر، **اقتصادنا**، (بيروت: دار التعارف، ط٢٠، ١٤٠٨ه/١٩٨٧م)، ص٣٩١.

بمعنى أن يحمل التجربة البشرية على القرآن، وليس بمعنى أنه يخضع أو يطوع القرآن للتجربة البشرية، بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق بحث واحد؛ لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث، المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه»[٥٦].

**القاعدة الثانية: فقه النص**؛ أي استنطاق القرآن الكريم عن طريق إجراء حوار مع القرآن الكريم، وطرح للمشاكل الموضوعية عليه، من خلال التوحيد بينهما في سياق بحث واحد بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها[٥٧].

ولكن كيف تتم عملية الاستنطاق للقرآن لكي نحصل على المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجارب والمشاكل المعروضة عليه؟

يجيب الصدر على هذا بأن هذا يتم من خلال عدة خطوات، كالآتي:

أ. استقراء الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع المراد معرفة هدي القرآن فيه، وفي هذا يقول الصدر: «التفسير يكون موضوعيًا باعتبار أنه يختار مجموعة من الآيات التي تشترك في موضوع واحد»[٥٨].

ولكن هل يكون الاستقراء للآيات تامًّا أم ناقصًا؟ المستفاد من كلام الصدر السابق أنه استقراء تام، وقد اتفق معظم الباحثين في التفسير الموضوعي على ضرورة جمع الآيات الخاصة بالموضوع المفسر جمعًا إحصائيًا مستقصيًا[٥٩].

---

[٥٦] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٣١.

[٥٧] المصدر نفسه، ص٢٧-٢٨.

[٥٨] نفسه، ص٣١.

[٥٩] سامر عبد الرحمن رشواني، **منهج التَّفسير الموضوعي للقرآن: دراسة نقدية**، (حلب: دار الملتقى، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص١٤٨-١٤٩.

وقد أشكل على الصدر في هذه القضية بأنه لم يَسْتَقْرِ جميع الآيات القرآنية الواردة في تكوين المجتمع في القرآن، بل اقتصر على دراسة مجموعة من الآيات توصل من خلالها إلى ما ذكر سابقًا، والحقيقة أنه لو استقرأ جميع آيات الموضوع لربما اختلف الأمر كليًا[٦٠].

وهنا ينبغي أن نلاحظ أننا في دراسة أفكار الصدر عن التفسير الموضوعي نعتمد على مجموعة من المحاضرات العامة التي ألقاها على الطلبة، و لم يُتَحْ له أن يصوغ أفكاره وآراءه في كتاب مصنف بطريقة منهجية مستوعبة كما هو الحال في كتبه الأخرى، ولو أتيح له ذلك لكن قد جاء بما يمكن أن يجيب عن هذه الاعتراضات.

كما أن هذا الإشكال يكون صحيحًا إذا كانت الآيات التي تركها الصدر و لم يدخلها في دائرة البحث مؤثرة في النتيجة، ولكن إذ لم يكن لها تأثير يذكر فربما يكون السيد الصدر قد اقتدى بالشيخ محمد عبد الله دراز، على الرغم من أنه قد أتيح له أن يكتب كتابًا على نحو مستوعب باعتباره أطروحة دكتوراه حيث يقول: «فلما كنا لا نرى من اللازم أن نستوعب النصوص والآيات ذات الاتصال بالموضوع؛ فقد اكتفينا بأن سقنا بعضًا منها ذا دلالة كافية على القواعد المختلفة للسلوك، ثم حاولنا من بعد ذلك أن نتجنب التكرار بقدر الإمكان»[٦١].

ب. استقصاء الأحاديث النبوية التي تتعلق بالموضوع فإغفال ذلك مدعاة للسقوط في أخطاء علمية يمكن تفاديها، حيث يقرر الصدر أن نقطة الانطلاق في اكتشاف المذاهب والنظريات العامة هي «الأحكام والمفاهيم وأن الطريق للوصول إليها يكون بالرجوع إلى النصوص الإسلامية، فليس علينا إلا أن

---

[٦٠] أحمد عبد الله أبو زيد، **أطروحة التَّفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر**، ص٢٩٧-٢٩٨.

[٦١] محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٩-١٠.

نستحضر نصوص القرآن الكريم والسنة بهذا الصدد، لنجمع العدد الكافي من الأحكام والمفاهيم، التي نصل بها في نهاية الشوط إلى النظريات المذهبية العامة»[٦٢].

ج. بعد جمع الآيات المتعلقة بالموضوع ينتقل المفسر إلى خطوة أخرى؛ وهي الكشف عن مدلول الآيات، مع مراعاة السياق الذي وقعت ضمنه بعين الاعتبار[٦٣]، وذلك لأن المنهج الموضوعي بحاجة إلى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يريد التعامل معها ضمن إطار الموضوع الذي يتبناه[٦٤]، فالتفسير التجزيئي للآيات مع مراعاة السياق الذي وقعت فيه هو خطوة في تحقيق المنهج الموضوعي[٦٥].

بعد أن يجمع المفسر الآيات المتعلقة بموضوع ما، ويقوم بالكشف عن مدلول كل آية؛ ينتقل إلى طور معالجة المضمون، حيث يبدأ المفسر بتنظيم تلك الآيات وتصنيفها على نحو يساعد على الاستنباط منها والربط بينها للخروج برؤية جامعة.

د. الترتيب المنطقي لمدلول الآيات: علمنا مما سبق أن هدف التفسير الموضوعي من وجهة نظر الصدر هو الوقوف على استكشاف النظرية القرآنية، وتحقيق رؤية شمولية، تجاه موضوع من المواضيع، وقد عمل الصدر على ترتيب الآيات ترتيبًا منطقيًّا؛ بحيث يحاول أن يتجاوز حالة التناثر والتراكم فيما بينها، ودراستها دراسة شاملة تنسق وتبين أوجه الارتباط بين مدلولات الآيات، وتكشف عن التركيب العضوي لهذه المجاميع من الأفكار،

---

[٦٢] محمد باقر الصدر، **اقتصادنا**، ص٣٨٠.

[٦٣] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص١٦.

[٦٤] المصدر نفسه، ص٢١.

[٦٥] نفسه، ص٣٨.

ضمن إطار نظري يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب، وتكون فيه الأفكار متساوقة يشد بعضها بعضًا ويؤدي بعضها إلى بعض، وعبر هذا الإطار يستطيع المفسر أن يصل إلى تكوين نظرية قرآنية عن النبوة أو المذهب الاقتصادي وما إلى ذلك[٦٦].

ولعل الصدر قد تابع دراز في منهجه بالأخذ بالوحدة المنطقية للآيات القرآنية؛ ذلك أن الأخذ بترتيب السور أو الترتيب التاريخي سيوقعنا فيما حاولنا الهرب منه في التفسير التجزيئي؛ وهو عبارة عن جمع لمواد متفرقة تفتقد الترابط والتسلسل الفكري والمنطقي للتفسير وتناثر الأفكار في غير نظام، وافتقاد التصنيف المنهجي الذي يقتضيه النظر الموضوعي[٦٧].

يقول الصدر عن هذه الممارسة التي توصل إلى النظريات الإسلامية إنها: «تحتاج إلى المزيد من الوعي للأحكام والمفاهيم الإسلامية التي قد تبدو متناثرة في الموضوع الواحد، في الوقت الذي تكون فيه منسجمة ومتكاملة فيما إذا توفرت النظرة العميقة الواعية الشمولية للأسس والمنطلقات والمقاصد والأهداف، ولهذا فإن الاجتهاد على صعيد فقه النظريات يحتاج إلى المزيد من الجهود كما إلى المزيد من الإبداع، لأن المسألة ليست استحضارًا للنصوص وتجميعها في مجال معين فحسب بل هي عملية اجتهاد معقدة تتجمع فيها شخصية الفقيه والمكتشف»[٦٨].

**القاعدة الثالثة: الانتقال من فقه النص إلى فقه النظريات،** ويؤكد الصدر على أن النتيجة المتوخاة من اتباع تلك القواعد والإجراءات السابقة أن ذلك «هو

---

[٦٦] المصدرالسابق، ص٣٠.

[٦٧] محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٧.

[٦٨] محمد باقر الصدر، **اقتصادنا**، ص٣٨٠-٣٨١.

الطريق للحصول على النظريات الأساسية للإسلام وللقرآن تجاه موضوعات الحياة المختلفة»[٦٩].

بناء على ما سبق؛ فإن القرآن يلتحم مع الواقع وحركة الحياة، حيث إن التفسير الموضوعي يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، وليس منعزلًا عنه، إذ أن المفسر يبدأ من خلاله بالواقع الخارجي، ثم ينتقل إلى القرآن الكريم، ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتاج بحثه، فيلتحم القرآن مع الواقع، ومع الحياة، مما يجعل القرآن الكريم ملبيًا- وبشكل مستمر -لكل متطلبات الحالة الإنسانية والاجتماعية، بوصفه القيم والمصدر الذي يحدد المفسر على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع[٧٠].

**الخاتمة**

يؤكد الصدر- رغم انتقاده لمنهج التفسير التجزيئي -على أهميته بالنسبة للتفسير الموضوعي، الذي يعد خطوة مُسبَّقة قبله؛ فالمفسر لا يمكنه أن يتقدم إلى التفسير الموضوعي إلا من خلال بوابة التفسير التحليلي .وبين الصدر بوضوح أن أهمية التفسير الموضوعي ومسوغات وجوده، تكمن في الغاية التي يرموا لتحقيقها، وهي تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتالي للرسالة الإسلامية لموضوع من موضوعات البحث في الحياة، أو الكون، أو الإنسان.

---

[٦٩] محمد باقر الصدر، **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، ص٣٥.

[٧٠] المصدر نفسه، ص٢٨.

يرى الصدر من خلال أطروحته أن الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعًا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية؛ للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

ويطلق الصدر على المنهج الموضوعي اسم المنهج التوحيدي؛ باعتبار أنه يوحد بين مدلولات الآيات التي تشترك في موضوع ضمن مركب نظري واحد، من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع .وبعبارة أخرى: باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم، بمعنى أنه يوحد بينهما في سياقٍ بحث واحد؛ لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية.

ويعتبر النظر في الواقع أساسًا منهجيًّا فارقًا لدى الصدر، إذ يرتكز الاتجاه الموضوعي لدى الصدر على أساس أن يقوم تفسير القرآن على قاعدتين: فقه الواقع وفقه النصّ، فلا معنى للتفسير الموضوعي إن لم يلتحم مع الواقع والحياة، فلا ينبغي أن يدور المفسر مع الألفاظ وحسبُ، بل عليه أن يرتبط بتيار التجربة البشرية، باعتبارها السبيل إلى بلوغ النظرية القرآنية بشأن أي موضوع من موضوعات الحياة.

إن الاستقراء التام عنصر أساسي وجوهري في منهج التفسير الموضوعي للقرآن، ولا يمكن الاكتفاء بالاستقراء الناقص؛ لما قد يؤدي إليه من خلل في فهم مراد الله عز وجل من القضية المفسرة. أوضحت الدراسة أن ترتيب الآيات المتعلقة بالموضوعات هو الترتيب المنطقي، فبعد أن يجمع المفسر الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، يبدأ بتصنيف الآيات وترتيبها بما يساعده على الاستنباط منها والربط بينها لتكوين رؤية جامعة لمختلف قضاياها الجزئية.

## المصادر والمراجع

Al-Qur'ān

Abū Zayd, Aḥmad ʿAbd Allāh. *Uṭruḥāt al-Tafsīr al-Mayḍūʿīyyah ʿind Sayyid Muḥammad Bāqir al-Ṣadr*. (Beirut: Markaz al-Ḥaḍārah Fikr Islāmī, 1st edition, 2011)

Al-Amīn, Muḥsin. *Aʿyān al-Shīʿa*. Ḥassan al-Amiīn (Ed). (Beirut: Dār al-Taʿāruf for Publications,1403H/1983).

ʿAlī Budayrā, Shakīb. Al-Tafsīr al-Mawḍūʿī wa al-Kalām al-Ḥadīth. *Majallat Risālāt Al-Thaqalayn*. (Tehran: Maṭbaʿa Laylā, 21428H/2007)

ʿAlī Kassar, Jawad. *Al-Manhaj al-Mawḍūʿīyya ʿĀshra Muqārana bayna Dirāz wa Makārim Shirāzī*. Majalla Qaḍāyā Islāmiyya. (Iran: Mu'assasa al-Rasūl al-ʿAẓam, 3rd version, 1417H/1996.

Al-Dighāmīn, Ziyād Khalīl. *Al-Tafsīr al-Mawḍūʿī wa Manhajiyyah al-Baḥth fīhi*. (Amman: Dār ʿAmmār, 1st edition, 1428H/2007).

Al-Ḥā'irī, Kāẓim al-Ḥusaynī. *Mabāḥith al-Uṣūl*. (Qum: Dār al-Bashīr, 3rd edition).

Al-Ḥakīm, Muḥammad Bāqir. *Al-Mujtamaʿ al-Insānī fī al-Qur'ān*. (Najaf: Turāth al-Shahīd al-Ḥākim, 2nd edition, 2006)

Al-Ḥakīm, Muḥammad Bāqir. *Tafsīr Sūra al-Ḥamd*. (Qum: Majmaʿ al-Fikr al-Islāmī, 1st edition, 1442H/2001)

Al-Ḥusaynī, Muḥammad. *Muḥammad Bāqir al-Ṣadr: Ḥayah Hafīla Fikr Khallāq*. (Dār al-Maḥājah al-Biādah for publication,1427H/2005).

Al-Khālidī, Ṣalāḥ. *Al-Tafsīr Al-Mawḍūʿī bayna al-Naẓariyyah wa al-Taṭbīq*. (Jordan: Dār al-Nafā'is, 2nd edition)

Al-Nuʿmānī, Muḥammad Riḍā. Shahīd al-Umma wa Shāhiduhā. *The International Commission Forum of Imam al-Sadr*. (Iran: Research and Specialized Studies for Imam al-Sadr Center, 1st edition, 1421H).

Al-Nuʿmānī, Muḥammad Riḍā. *Al-Shāhid al-Ṣadr Sanawāt al-Miḥnah wa Ayyām al-Hiṣār*. (Maṭbaʿah Ismaʿīliyyān, 2nd edition, 1417H/1997).

Al-Ṣadr, Muḥammad Bāqir. *Al-Tafsīr al-Mawḍūʿī wa al-Falsafa al-Ijtimāʿiyyah fī al-Madrasa al-Qur'āniyyah*. Jalāl al-Dīn al-Sa'īr (Ed.). (Beirut: Al-Dār al-ʿĀlāmiyya, 1st edition, 1409H/1989).

Al-Ṣadr, Muḥammad Bāqir. *Iqtiṣādunā*. (Beirut: Dār al-Taʿāruf, 20th edition, 1408H/1987).

Dirāz, Muḥammad ʿĀbd Allāh. *Dustū al-Ahlāq fī al-Qur'ān*. ʿAbd al-Ṣabūr Shāhīn (trans.). (Beirut: Al-Risālah Institution, 10th edition, 1418H/1998).

Rashwānī, Sāmir. *Manhaj al-Tafsīr al-Mauwḍūʿī li al-Qur'ān: Dirāsah Naqdiyyah*. (Alepo: Dār al-Multaqā, 1st edition, 1430H/2009).